ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

من غزة إلى أفريقيا..الولايات المتحدة والإسلاموفوبيا والصراع الاستراتيجي مع الصين

محمد الحمد

لفت انتباهي تصريح خطير نشره ترامب عبر تغريدة على حسابه، تضمّن تهديدات مباشرة حول ما وصفه بـ "قتل المسيحيين في نيجيريا"، متوعّداً بحرب وحشية ضدّ ما سماهم "الإسلاميين".

وتبع ذلك تصريح لوزير الحرب الأميركي قال فيه: "يجب أن يتوقف قتل المسيحيين الأبرياء في نيجيريا وفي أيّ مكان فوراً، وإلا فإن وزارة الحرب تستعدّ للتحرك، إما أن تحمي الحكومة النيجيرية المسيحيين، أو سنقضي على الإرهابيين الإسلاميين الذين يرتكبون هذه الفظائع".

هذه التصريحات ليست عابرة، بل تحمل أبعاداً سياسية وإعلامية عميقة، وتؤكد أنّ واشنطن تسعى لإعادة ترتيب المشهد الإدراكي العالمي بعد أن خسرته هي وكيانها الصهيوني بسبب جرائم غزة.

من الواضح أنّ الإدارة الأميركية تعمل اليوم على إعادة الرواية التي انهارت أمام أعين العالم، فقد كشفت مشاهد المجازر في غزة زيف الادّعاءات الغربية حول "الحرية وحقوق الإنسان"، ملايين الناس في كلّ القارات أدركوا حجم الوحشية الصهيونية، والدور الأميركي المباشر في تمويلها وتغطيتها، لذلك تحاول أميركا اليوم من خلال استغلال أحداث في نيجيريا أو السودان، أن تعيد تشكيل الصورة الذهنية لدى المجتمعات الغربية لتبدو وكأنّ المسلمين هم الخطر، لا الكيان الصهيوني.

من الجدير بالذكر أنّ نيجيريا شهدت خلال السنوات القليلة الماضية أعمالاً وحشية من السلطة الحاكمة ضدّ الشيعة، بما في ذلك مجازر كبيرة طالت الشيخ الزكزاكي وعائلته وأتباعه، وقد حصل ذلك بدعم سعودي واضح في حينه، مع صمت بل ومباركة أميركية وصهيونية وقتها، وما يحدث مؤخراً من أفعال عنف فردية بحق العوائل المسيحية من قبل عناصر إرهابية، هو في الأساس مدعوم من قبل أميركا وأدواتها، ضمن محاولتها المستمرة لإعادة صياغة الرواية العالمية لصالح مصالحها.

ولا يغيب عن السياق أنّ هذه الأحداث مرتبطة أيضاً بالصراع الاستراتيجي بين أميركا والصين، فالصين تكتسح أفريقيا بمشاريعها واستثماراتها التجارية والاقتصادية والمالية، وأميركا تعمل جاهدة لملاحقتها والتصدي لمصالحها الاستراتيجية في القارة. ومن المتوقع أن تشهد الساحة تدخلات عسكرية وأمنية أميركية في أفريقيا وأميركا الجنوبية، حيث تعتبر واشنطن أنّ أداتها الرئيسية لمواجهة الصين هي تفوقها العسكري، لأنها عاجزة عن منافستها اقتصادياً وتجاريًا في هذه المناطق.

وليس غريباً أن تخرج بين الحين وزارة الحرب تستعدّ للتحرك، إما أن تحمي الحكومة النيجيرية المسيحيين، أو سنقضي على الإرهابيين الإسلاميين الذين يرتكبون هذه الفظائع".

هذه التصريحات ليست عابرة، بل تحمل أبعاداً سياسية وإعلامية عميقة، وتؤكد أنّ واشنطن تسعى لإعادة ترتيب المشهد الإدراكي العالمي بعد أن خسرته هي وكيانها الصهيوني بسبب جرائم غزة.

من الواضح أنّ الإدارة الأميركية تعمل اليوم على إعادة الرواية التي انهارت أمام أعين العالم، فقد كشفت مشاهد المجازر في غزة زيف الادّعاءات الغربية حول "الحرية وحقوق الإنسان"، ملايين الناس في كلّ القارات أدركوا حجم الوحشية الصهيونية، والدور الأميركي المباشر في تمويلها وتغطيتها، لذلك تحاول أميركا اليوم من خلال استغلال أحداث في نيجيريا أو السودان، أن تعيد تشكيل الصورة الذهنية لدى المجتمعات الغربية لتبدو وكأنّ المسلمين هم الخطر، لا الكيان الصهيوني.

من الجدير بالذكر أنّ نيجيريا شهدت خلال السنوات القليلة الماضية أعمالاً وحشية من السلطة الحاكمة ضدّ الشيعة، بما في ذلك مجازر كبيرة طالت الشيخ الزكزاكي وعائلته وأتباعه، وقد حصل ذلك بدعم سعودي واضح في حينه، مع صمت بل ومباركة أميركية وصهيونية وقتها، وما يحدث مؤخراً من أفعال عنف فردية بحق العوائل المسيحية من قبل عناصر إرهابية، هو في الأساس مدعوم من قبل أميركا وأدواتها، ضمن محاولتها المستمرة لإعادة صياغة الرواية العالمية لصالح مصالحها.

ولا يغيب عن السياق أنّ هذه الأحداث مرتبطة أيضاً بالصراع الاستراتيجي بين أميركا والصين، فالصين تكتسح أفريقيا بمشاريعها واستثماراتها التجارية والاقتصادية والمالية، وأميركا تعمل جاهدة لملاحقتها والتصدي لمصالحها الاستراتيجية في القارة. ومن المتوقع أن تشهد الساحة تدخلات عسكرية وأمنية أميركية في أفريقيا وأميركا الجنوبية، حيث تعتبر واشنطن أنّ أداتها الرئيسية لمواجهة الصين هي تفوقها العسكري، لأنها عاجزة عن منافستها اقتصادياً وتجاريًا في هذه المناطق.

وليس غريباً أن تخرج بين الحين والآخر شخصيات أميركية رسمية، مثل وزير الخارجية أو السفير الأميركي لدى الكيان الصهيوني، لتدعو المسيحيين صراحة إلى الوقوف مع "إسرائيل"، بحجة أنّ ما تتعرّض له "إسرائيل" هو صراع ديني ضدّ التطرف الإسلامي، هذه التصريحات، وما يجري من عمليات مريبة في أفريقيا، ليست إلا جزءاً من مشروع استخباري متكامل تديره المخابرات الأميركية والموساد، كما فعلوا سابقاً وما زالوا مع "النصرة" و "داعش"، اللتين أثبت التاريخ أنهما كانتا أداةً لتشويه الإسلام، وقتل المسلمين والمسيحيين معاً، تحت رعاية أميركية صهيونية واضحة.

إنّ ما يجري اليوم في نيجيريا ليس سوى نسخة جديدة من حرب الوعي التي تشنّها واشنطن منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، فمنذ ذلك الوقت، تبنّت أميركا استراتيجية تقوم على صناعة "عدو بديل" بعد انهيار الشيوعية، وكان الإسلام هو الهدف الرئيس.

وقد كشف عن ذلك مايكل فلين، مستشار الأمن القومي الأميركي في ولاية ترامب الأولى، حين صرّح في إحدى محاضراته بمعهد واشنطن للدراسات أنّ الولايات المتحدة، بعد انتهاء الحقبة الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفياتي، انتقلت إلى مهمة جديدة، وصفها بأنها استئصال الغدة السرطانية الأكبر في العالم "الإسلام"، واشتدّت هذه الحملة بعد تأسيس القاعدة وأحداث ١١ سبتمبر/أيلول، ثم بلغت ذروتها مع تنظيم داعش، الذي أريدَ له أن يكون "الوجه الدموي للإسلام" في أعين الغرب، وهكذا تعاد اليوم عملية إنتاج "الإسلاموفوبيا"، لكن بثوب جديد، وبميدان جديد اسمه أفريقيا.

إنّ ما يثير السخرية والاشمئزاز في آن واحد هو أنّ أميركا التي تتباكى على المسيحيين في نيجيريا، هي نفسها التي أشرفت وخططت وسلحت الكيان الصهيوني لقتل وجرح أكثر من ربع مليون إنسان في غزة، جلّهم من النساء والأطفال، وهي ذاتها التي تدعم بالمال والسلاح والغطاء السياسي الجرائم المروعة في السودان، عبر الإمارات وأدوات إقليمية مكشوفة تعمل لخدمة المشروع الأميركي الإسرائيلي في المنطقة.

كل هذه التحركات ليست دفاعاً عن إنسان أو دين، بل محاولة لإعادة بناء الرواية لمصلحة أميركا والكيان الصهيوني، بعدما تآكلت صورتهما في الوعي العالمي.

العالم اليوم في صحوة كبيرة، لم تعد الشعوب تصدّق رواية "الحرب على الإرهاب"، ولم تعد تنخدع بخطاب "حقوق الإنسان" الأميركي الذي يغطي القتل في غزة ولبنان وعموم المنطقة.

الولايات المتحدة اليوم تحاول جاهدة أن تصنع أعداء جدداً، لتعيد إقناع المجتمعات الغربية بأنّ الخطر هو "الإسلام"، وليس "الصهيونية"، ومن خلال افتعال أحداث في نيجيريا والسودان، تسعى لإعادة تصوير المشهد بأنّ ما يجري في المنطقة من مجازر مبرّر، لأنّ تلك المجتمعات "أكثر تخلّفًا ودموية" مما حدث في غزة.

هذه هي الدعاية المسمومة التي يريد ترامب ومن خلفه الدولة العميقة الأميركية إعادة ضخها في وعي الغرب.

إنّ أخطر ما في هذا المشهد هو الصمت العربي والإسلامي أمام هذا النفاق الأميركي الفاضح، فإذا كانت واشنطن تقدّم نفسها اليوم مدافعاً عن المسيحيين في نيجيريا، فكيف صمت العالم العربي والإسلامي أمام المذابح اليومية في غزة والسودان ولبنان وسورية؟ كيف سمحنا لأنفسنا أن نكون شهوداً على جرائم القرن، دون أن يكون لنا موقف واحد موحّد أو صوت أخلاقي قوي يفضح الكذب الأميركي الصهيوني؟

لقد آن الأوان لأن نقرأ هذه الأحداث بعين الوعي لا بعين الإعلام، فكلّ ما يجري من نيجيريا إلى السودان مروراً بغزة ولبنان وسورية وباقي دول المنطقة، ليس سوى جزء من خطة واحدة تهدف إلى إعادة ضبط وعي العالم، ليعود إلى ما قبل طوفان الأقصى، حين كانت الرواية الأميركية الصهيونية هي السائدة، لكن هذا لن يتحقق لهم، لأنّ الشعوب اليوم ترى الحقيقة بوضوح، وتدرك أنّ من يقتل الأطفال في غزة لا يمكن أن يكون "مدافعاً عن المسيحيين في نيجيريا"...

نتنياهو والائتلاف يواصلان إضعاف «إسرائيل» وتمزيقها

قال المحلل السياسي يوسي فرتر في صحيفة «هآرتس» الصهيونية: «ثمانٍ وأربعون ساعة من هجوم إعلامي متواصل، كان بعضه (بفضل المذيعين والمعلّقين الذين اعتادوا الإساءة إلى كبار مسؤولي الجهاز القضائي) يشبه التنكيل، بلغت ذروتها في دراما إنسانية انتهت بأنفاس ارتياح: المدعية العامة العسكرية، اللواء يفعات تومر-يروشلمي، عُثر عليها حيّة بعد ساعات من اختفائها".

بحسب فرتر فإنّه «حتى في الساعات التي ساد فيها «قلق شديد على حياتها»، لم تتمكن المجموعة الحاكمة -وربما لم تحاول أصلًا- إظهار أي قدر من ضبط النفس. وكما أن أسماك القرش تحتاج إلى الحركة كي تبقى على قيد الحياة، كذلك هو حال حملة المطاردة التي يديرونها ضد رؤساء الجهاز القضائي، وعلى رأسهم المستشارة القانونية للحكومة غالي بهراف-ميارا".

وأضاف: «من بين جميع من يحيط ببنيامين نتنياهو نفسه، يبرز الناطق باسم الليكود غاي ليفي بسلوكه السلبي. فبينما كانت عمليات البحث عن المدعية العامة العسكرية مستمرة، اتهم المستشارة القانونية للحكومة بالمسؤولية عما حدث وطالب باعتقالها والتحقيق معها «هذه الليلة»»، مشيرًا إلى أنّ عضو الكنيست تالي غوتليف، هاجمت بدورها تومر- يروشلمي بأسلوبها المعتاد، لكنهما ليسا سوى نتاج مباشر للأجواء التي يخلقها بنيامين ويائير نتنياهو".

وأردف فرتر: «ليست الدعوات المتكرّرة من الوزراء بتسلئيل سمو تر يتش وإيتمار بن غفير وأوريت ستروك، أعضاء الكابينت ا لسيا سي - الأمني، إلى تطهير عرقي في غزة والسيطرة اليهودية على القطاع، ولا تصريح عميحاي إلياهو حول «قنبلة ذرية على غزة»، ولا قول نيسيم فاتوري حول «حرق غزة»، ولا حتى اللقاءات التي تتحدث عن العودة إلى الاستيطان في القطاع، ولا الأحداث في قاعدة سديه تيمان ومقتل عدد كبير من الأطفال في غزة، كل ذلك لم يُعتبر خطيرًا كما الفيديو الذي يُظهر على ما يبدو تعذيبًا بأسلوب داعش من قبل جنود الجيش «الإسرائيلي» لأحد المعتقلين الفلسطينيين".

فرتر أوضح أدّه «لا خلاف على أن التسريب خطير، وأن الأكاذيب المقدمة إلى المحكمة العليا ووزير الحرب واثنين من رؤساء الأركان أخطر بدرجات، انهيار كامل للمنظومة، لكن الصدمة والغضب والانفعال الكبير من قبل مجموعة الإجرام التي تدافع عن المشتبه بهم والمتهمين في قضية قطرغيت وقضية «بيلد» والعميل «ألف» من الشاباك، تمثل قمة النفاق، فجأة يتحدثون عن «إدارة سليمة» و«تصرف مؤسساتي»، أما التسريب؟ فكارثة".

وتابع المحلل الصهيوني: «ما ظهر حتى الآن في النيابة العسكرية العامة خطير جدًا، لكنه لا يقترب من حجم فضيحة «قطرغيت» التي عرّضت أمن «الدولة» (الكيان) للخطر واقتربت من التجسس. وزراء الليكود، الذين يتظاهرون بأنهم قادة، يلتزمون الصمت، ويتماشون مع الفساد والانحلال، ولا يتجرأ أحدهم على توجيه انتقاد»، مشيرًا إلى أنّ «الائتلاف الحاكم في «إسرائيل»، برئاسة نتنياهو ووزراء من التيار الكهاني والفاشي، المسؤولين عن أحداث السابع من تشرين الأول/ أكتوبر، لم يُظهر أي ندم أو مراجعة أو شعور حقيقي بالألم، وسيواصلون الإضرار بالمجتمع «الإسرائيلي»، وإضعافه، وتمزيقه".

العهد

القوة الدولية متعثرة

في اللقاء الذي عُقد في تركيا لدول المجموعة العربية الإسلامية التي اجتمعت في نيويورك مع الرئيس الأميركي دونالد ترامب وولد منها مشروع ترامب بوقف حرب غزة قبل أن يقوم ترامب بتعديله على مقاس طلبات رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو، كان الموضوع هو تشكيل القوة الدولية التي تشكل عنوان المرحلة الثانية من اتفاق غزة.

انعقاد الاجتماع بذاته لإصدار موقف خاص معلوم أنه لا يرضي "إسرائيل" ويختلف عن المقاربة الاميركية، حيث خلص الاجتماع إلى ثلاثة عناصر في الرؤية العربية الإسلامية للمرحلة المقبلة، الأول أن القوة الدولية يجب أن تكون عربية إسلامية وأن تتشكل بقرار من مجلس الأمن الدولي، والثاني أن الإدارة والأمن في غزة صلاحية فلسطينية صرفة، وأن للسلطة الفلسطينية دوراً محورياً في ذلك بعد مصالحة فلسطينية بين حركتي حماس وفتح، والثالث أن "غزة بحاجة إلى إعادة إعمار، ويجب أن يعود سكانها إلى منازلهم، فهي بحاجة إلى تضميد جراحها، ولكن لا أحد يريد أن يرى ظهور نظام وصاية جديد".

غياب مصر عن الاجتماع وفق تفسير وزير خارجية تركيا حاقان فيدان تقني فقط تضارب مواعيد، لكنه تفسير غير مقنع فقد كان ممكناً أن يحضر معاون الوزير ويعتذر للاعتبار التقني، لكنه على الأرجح عائد إلى مقاربة مصرية تريد منح تركيا حق الفيتو على تشكيل القوة الدولية ربطاً بالموقف من سورية ورفض مصر تحويل الموقف العربي الإسلامي إلى مجرد ورقة قوة لتركيا تصرف نفوذاً على حساب الجانب العربي في سورية، لكن غياب مصر لا يقلل من أهمية الفيتو التركيّ بنظر واشنطن، خصوصاً في ظل حضور سعودي ومشاركة إندونيسيا وأذربيجان تحت سقف موقف تركيا والسعودية معاً.

الاجتماع والبيان الصادر عنه وتصريحات المسؤولين الأتراك تعبيران عن مأزق اتفاق غزة، ومصاعب تواجه إكمال مراحله، حيث الموقف الإسرائيلي يرفض سقف الأمم المتحدة للحل في غزة، ويرفض صيغة فلسطينية لإدارتها وإدارة الأمن فيها، ويرفض دوراً تركياً محورياً في تطبيق اتفاق غزة، وواشنطن التي لا تستطيع تجاهل موقف تركيا لا تستطيع أيضاً تجاهل الحسابات الإسرائيلية.

البناء

القاموس السياسي (الإسرائيلي) ووقف إطلاق النار

سعادة مصطفى أرشيد

بلغت خروق (الإسرائيلي) لوقف إطلاق النار مع لبنان أرقاماً بالآلاف، ويتصاعد التوتير الإسرائيلي ضد لبنان مهدّداً متوعّداً لبنان وثالوث الدولة والمقاومة والشعب إن لم ينحَز الشعب والدولة ضد المقاومة ويُجبرها على نزع سلاحها، وذلك بما يشبه الحرب النفسيّة، نتنياهو يقول: حزب اللّه يتلقى الضربات ولا يردّ، إنها أطول فترة هدوء تمرّ، ويعود ليضيف إنّ حزب اللّه يحاول إعادة بناء قدراته القتالية وإنّ على حكومة لبنان أن تنفذ التزاماتها بنزع سلاحه، قبل أن تضطر (إسرائيل) لفعل ذلك، كما نص عليه اتفاق وقف إطلاق النار، فيما تفيد الأنباء والتحليلات في الصحافة الأميركية أنّ واشنطن قد أصبحت على قناعة بأنّ (إسرائيل) فقط هي من تستطيع نزع سلاح المقاومة، فيما لا تستطيع الدولة وجيشها ذلك.

وفي الوقت ذاته يضرب الطيران الإسرائيلي غزة في معظم الليالي ليكمل عمليات القتل والهدم، وفي كلّ صباح يعلن أنه أبلغ واشنطن بهذه الضربات وأنه قد عاد للالتزام بوقف إطلاق النار، فيما لا تردّ المقاومة في لبنان أو في غزة على الاختراقات (الإسرائيلية) هذه بحجة نزع الذرائع من حكومة الاحتلال التي تريد مواصلة الحرب المفتوحة، وتبدو التصريحات الأميركية الصادرة عن الرئيس شخصياً محيّرة، إذ نراه حيناً مع ضرورة الالتزام (الإسرائيلي) بوقف إطلاق النار في غزة، وما نلبث أن نسمعه في حين آخر يقول إنّ من حق "إسرائيل" أن تخرق الاتفاق، ولا تختلف التهديدات الإسرائيلية تجاه غزة عن نظيرتها تجاه لبنان، فالأمر ذاته ينطبق على لبنان الذي يقول عنه توم برّاك إنه دولة فاشلة لا تستطيع تنفيذ قراراتها أو أن تستجيب لأوامره الصريحة فوراً، وتعلن السعودية ودولة الإمارات أنها لن تشارك لا بالعسكر ولا بالمال في مساعدة غزة أو لبنان طالما المقاومة موجودة، ومطلوب بشكل كبير الضغط على لبنان كي يأخذ قراراً بسحب سلاح المقاومة وإلا فإن "إسرائيل" تقول إنها ستبقى متمركزة في الجنوب اللبناني وإنها ستقصف بيروت إن اطلقت عليها المقاومة اللبنانية النار.

بهذا فإنّ الحرب في لبنان وغزة لا تزال تدور رحاها وإنْ كانت قد اتخذت ثوباً جديداً، فلا يزال مشروع القضاء المبرم على المقاومة في لبنان وفلسطين يتصدّر الأجندة العربية الإبراهيميّة والأميركية الغربية والإسرائيلية، من هنا فإنّ مطلب تسليم المقاومة سلاحها وحلها أجهزتها العسكرية والأمنية قائم بإلحاح وإن كانت المقاومة في الساحتين تدرك أن تسليم السلاح هو الاسم السرّي للاستسلام المطلق وبالتالي فإنّ تسليم السلاح أمر غير وارد في أجندة المقاومتين.

هكذا أصبح المطلوب في لبنان تطبيق قرار مجلس الأمن ١٧٠١ وملحقاته السرية والعلنية التي جاءت بعد إعلان وقف إطلاق النار بين المقاومة اللبنانية ودولة الاحتلال، والأمر ذاته في فلسطين ولكن المطروح هو مشروع ترامب الذي أعلنه بشكل احتفاليّ في شرم الشيخ والذي أشعر ٦٦٪ من الشعب الإسرائيلي أنّ حكومتهم لم تعد تملك القرار وإنما أصبح كامل القرار بيد واشنطن.

تحتاج واشنطن لعرض الخطة الترامبية على مجلس الأمن وأخذ قرار بموافقته ليصبح قراراً دولياً، الأمر الذي يبدو أنّ الصين وروسيا أو إحداهما ستعرقله باستعمال حقّ الفيتو، وفي مثل هذه الحالة فإن إندونيسيا وغيرها من الدول لن تشارك في إرسال قوات حفظ السلام إلى غزة ويبقى المرشح لإرسال القوات الدول الغربية وتركيا ومصر والأردن حتى الآن، وفي هذه الحالة ستكون واشنطن أمام خيارات أولها إلغاء الخطة بكاملها والثاني البحث عن خطة جديدة بالتوافق مع القوى العظمى وتقديم تنازلات في ملفات شائكة لكل من موسكو وبكين وثالث الخيارات بتنفيذ الخطة خارج القرار الدولي في مجلس الأمن.

مما لا ريب فيه أنّ المقاومتين اللبنانية والفلسطينية تمران بأوضاع صعبة، غاب النصير او انكفأ، وكشفت الأحداث عورات النظام العربي وأسقطت عنه أقنعة الزيف، ولا تجد نصيراً اليوم إلا اليمن العظيم ولكن البعيد بالمعنى القتالي الاستراتيجي وبعض دول أميركا اللاتينية الأبعد على المستوى السياسي.

خلاصة القول إنّ الحرب لا تزال تتواصل حلقاتها، أسلمت المقاومة سلاحها أم لم تسلمه، فلا يوجد بالقاموس العبري أو بالعقيدة السياسية والأمنية والثقافية (الإسرائيلية) شيء اسمه وقف إطلاق النار، إنها نظرية الحرب المتواصلة.